باب تحرم ا ظلم و لأمر ب د الم ـالم

الحديث الرابع

الحمد لله رب العالمين، اللهم صل ّ على يدنا ـمد على له صحبه جمعين.

الحديث الرابع في باب تحر الظلم وا مر برد المظا لم، من ك ـاب رياض الصالحين ا ـذي جمعه الإمـام النـوو ي رحمـة لله ليه ونفعنـا الله بـه آمـين، جمعـه مـن كـلام الله وهـدي حبيبنـا ومولا ـا وسـدنا رسـ ل لله صلـ الله عل ـه وسلم، قال ب ـنده:

وعن عائشة رضي الله عنها أ ن رسول الله صلى لله عليه سلم الله عليه وسلم قال: لن ْ ظَلَم َدَ ـ ْ ـرِن َلأر ْ ضِوُّقَه ُن ْ َنْخَضِين َ)تفق ٌ عليه.

تقدم أ نل ـلأ ـنبو ـكيد ـقم. ـلظ ا، وقد يك ن بالاعـقاد، وقد يكون بالأ عـال، وها هنا حديث سيدنا سو الله صلى الله عليه وسـم يوجهـا إلى نو من نواع ا ظلم، وهو لظلم في المعـاملات التي تختص بـالأرض، قـد يـ ـون ال لـم من أنـواع أ ـرى: قـد يـ لـم الإنسـان بلسـانه، و قـد يظـ ـم بقـ بـه، و قـد يظلـم بمنـع حقـوق ال قـراء، و قـد يظـ ـم بـالغش، و قـد يـ لـم بالاحتكار، و قد يظلم بالسرقة، لك ها هـا ينب نا سيدنـ ر ول ا صلى الله عليه و لـ إلى هذا ل لم أو هذ الن ع من لظـ م الذ هو ال لم في لأر ض.

والمصطفى لـه ال ـلاة والـ ـلام نبه في لمعاملات أ ن الجـ اء يكون من جنس العـ ـل،فإذا كـان رجل يملك جما ً و،يملك أ قـا ً أو يملك أغنام ـا، ويمنع حق ا فقير، ولا يؤدي زكاتها يأتي يوم ا قيا ـة وهو يحـ ـلها على عنقه، يحمل ناقة، يحمل قرة.... يحمل ما منعه، وما ظلم فيه من زكاة الأ عام.

ونواع الظل في ا ـر كثيرة جد ً ا: فمن ذلك حيـما يكون للإنسان تجـارا ـ ت من نوع التجـ رة بـا ـر ض وهـذا مـ ـلبلاء ا كبير ا وجود مدينتنا، النـاس يـاجرو ن بـالأر ض، ولا ُ رجون زكا هذه الأر ض، ويأتي بعض الذين يخدعونهم، ويقولون للتـ جر: يجوز لـ أ تتاجر بالأر ض خمس سنـا ـ ت أو ست سنـا ـ ت، وبعـ ذلك تخرج زكاتها عن ـنة احدة، وهذا الحكم -الـ ي اقتنصه بعـ ـهم من بـ ـض مـ ورد في مذهب ا ما مالك ر ـة الله عل ـه- كان يشير إلى الأر ض ذلـ لزمان، ا مام مالك ما كان يـ تي بـلمسأ ـة إلا بعد حصولها، والأحكام تتغير بتغير الأزمان، اليو لأر ض فيـ ـا ـن النمـاء ـا ليس غيرهـا، و كثر الجـار للذين

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

كثرت أموالهم في هذه البلاد وفي غيرها من تضاعف أثمان الأراضي، حتى إن أثمان الأراضي تضاعفت لأكثر من عشرة أمثالها في بعض الجهات.

ذلك النماء في الثروة من عروض التجارة صار أكبر بكثير من أي نماء آخر، ولذلك على النساء أن يؤدين حق الله فيها، وهذا حق الفقير قلت مرارًا لو أن زكاة الأراضي في مدينة حلب مثلًا أخرجت الباقي فقط في وريدها كلها، أراضي أهل حلب لو أخرجت زكاتها لما بقي فقير في كل بلاد الشام، فكيف لو أخرج أهل بلاد الشام كل زكاة الأرض، ذلك منع هذه الزكاة ظلم كبير.

ثم ربما يحصل ظلم من نوع آخر حينما يغتصب الإنسان أرضًا، أو حينما يتعدى على حقوق أي شخص من البشر سلم أو غير مسلم، ليس الدين بأن يحمل الإنسان مسامحة طويلة وتذكر هفوة لفترة من الأذكياء وعندما ننظر إلى المعاملات نجد أنه كما قال غشاش لص، أبو العلاء المعري رحمه الله قال:

هل الدهر من إذا عاشَرتَه طمعاً لم يَلفك بالمتمسك

لذلك اغتصاب الأرض أو السرقة منها، أو الاعتداء على أرض غيره، والتصرف في ملك غيره بغير إذنه كل ذلك من الظلم، من ذلك أن يؤجر متروكًا بحجج كأن يستأجر مكانًا ويرفض الخروج منه، ويذهب إلى بعض الذين يتالون ليعقدوا عقودًا قانونيةً مخالفةً للشريعة، هذا كله من الظلم الكبير، هناك ظلم في الوقف، والوقف من عظم العبادات التي يتقرب بها إلى الله حينما يحبس عينًا ويجري منافعها للناس، هذه عادة، سيدنا عمر رضي الله عنه ملك أرضًا لم يملك أنفس منها، فجاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم وقال: ما أفعل بها يا رسول الله، فأمره أن يحبس عينها حتى تبقى هذه العين باقية إلى يوم القيامة، وتبقى منافعها إلى يوم القيامة ينتفع بها المسلمون.

ذلك عندما يأتي إنسان إما مثل هذا لوقف لله ويظلم فيه، ويمنع المنفعة التي فيه شرط الواقف، وسعى ذلك، ماذا سيكون جزاؤه؟

هذا الذي يحكمه لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم - الذي سينتظر هذا الظالم في الأرض؟ ما الذي سيكون؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إذا أخذنا شبراً من الأرض في الكتلة الصخرية، وأخذنا امتداده إلى باطن الأرض، كم سيكون حجمه؟

اليوم حتى يستخرجوا البترول يحفرون الآلاف الأمتار في الأرض، فكيف إذا أردنا أن نصل إلى مركز الأرض؟

لقد قدر نصف قطر الأرض بنحو /٦٣٧١/**كيلو مترا**، فإذا أخذنا امتداد شبر من الكتلة الأرضية على كل هذه المسافة كم سيكون حجمه؟

حجم الكتلة سيكون أكبر من مدينة حلب تقريباً، جُدِّد بلاطي مدينة حلب، جبل من أعلى شاهق إلى أصغر حلب، يكون هذا أقل بكثير بكثير من الكتلة التي يحملها الظالم على عنقه يوم القيامة، وهو لا يشعر في الدنيا بهذا، بل هذه يفرح بأنه حصَّل قرشين أو ثلاثة بالظلم، ولا يلم أحد حمل جبين أو ثلاثة فوق رأسه يوم القيامة.

إذاً الذي يحمل بقرة أهون من الذي يحمل جبلاً أكبر من محافظة حلب.

هذا الذي يظلم في شبر كف إذ ظلم في مئة متر مربع؟! عندما يظلم في مئة متر يمكن أن لا تكفيه سبع كرات جبال، هذا كله من تصوير الحبيب المصطفى صلى الله عليه وسلم، هذا على فرض أن السبع أراضين كما قال بعضهم هي سبع طبقات من الكرة الأرضية، وأنا لا أميل إلى هذا، أميل إلى أن السبع أراضين هي الكواكب في المجموعة الشمسية، إذا الشبر على الأرض كم يعادله من الشبر على المشتري؟ وكم يعادل من الشبر على حلب؟هذا كله إلى باطن مركز الكرة، وبعد ذلك يجب أن نحسب الكتلة الحاصلة من هذه الامتدادات، ونتأمل حينما تجتمع كلها ليحملها الظالم على عنقه يوم القيامة، هذا الظلم في شبر من الأرض شيء يفوق الحد، كما عندما نقرأ أحاديث الظلم في الزكاة في الأبقار والجمال نتساءل كيف يحمل الظالم جملاً يوم القيامة؟ كيف سيحمل ناقة؟ كيف سيحمل بقرة؟ كيف يحمل كل هذا في موقف يوم القيامة الذي هو أرعب المواقف على الإنسان.

لكن لماذا كان الظلم الأرضي كل هذه العقوبة المضعفة؟

النبي عليه الصلاة والسلام يقول: **(طوقه من سبع أراضين)**ما سرُّ ذلك؟

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

السر في ذلك هو أن النبي صلى الله عليه وسلم يقول: **(اتق الله)**، والله سبحانه وتعالى يقول { أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً } [النساء:٩٧] فالظالم بهذا يعتدي -حينما يعتدي في حقوق الأرض- على الله، وهذه جريمة كبيرة، وقد ورد في الحديث القدسي: **(إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا)**، لو أن الأمة الإسلامية أخذت بهذا الحديث، ولم يظلم الناس بعضهم بعضاً، وانتفت المظالم، فسنرى البركات تظهر من السماء وفي أرضنا وشمائلنا، كما قال الله تعالى: { وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آَمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ } [الأعراف:٩٦] كلمتان { آَمَنُوا وَاتَّقَوْا } { وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آَمَنُوا وَاتَّقَوْا } البركات لاتنزل علينا إلا بهذين الشرطين { آَمَنُوا وَاتَّقَوْا } الإيمان يقتضي استغراق القلب في تصديق خبر الله، كل ما قاله الله سبحانه وتعالى يبين لا يكن في القلب لشيء غيره { وَاتَّقَوْا } التقوى ليست بكثرة الطاعات، التقوى: بالابتعاد عن المحرمات، أما كثرة الطاعات فاسمها: البر، يجب أن لا يخلط الإنسان، التقوى: ترك، والبر: فعل، فالجامع لترك ما نهى الله عنه اسمه: التقوى، ونوره ينبعث من القلب، لذلك قال صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: **(التقوى ها هنا)**، لأنالإنسان حينما يشرق قلبه بتعظيم لله تبارك وتعالى ينتج لك تركاً لما نهى الله عنه، والأصل عندنا الإباحة، قال تعالى { بَقِيَّةُ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ } [هود:٨٦].

ما هو مثال المحرمات بالنسبة لما تركه الله لنا من الإباحات الذي اسمه بقية الله؟

بقية الله كل المباحات هذا اسمه بقية الله، وبعد ذلك لذته من المحرمات ما مثله إلا مثال شجرة واحدة في الجنة، مثَّلها الله لنا حينما شار إليها بقوله: { وَقُلْنَا يَا آَدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ } [البقرة:٣٥] ما قال لا أملوا، قال: { وَلَا تَقْرَبَا } كما قال: { وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَا } [الإسراء:٣٢].

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com

إذ ن بتعد عن هذ الحـ ود وبعد لك أنت م ضي من الله، القضـ ة ليست قضية أذكار، بـأن تقـ ل عنـ ي في النهـ ر خمسـة آلاف مـر مـن الـذكر الفـلا والـذكر الفـ ني والـذ ر الفلاني،وأنت تـ ع في ا رمات، ما الـذ ينفع ذا جئنا إلى مكان قاذوا ت أردنـ أ ن نجـ له؟ الطاعات تجميل لكـ المحـ وروا ت قاذورا ت، فعندما لا نظف الإ سان جورحه قـ به من هذه القاذورا ت، لا يستفيد م الطاعات.

سر الـقو الابتعا عن الحدود. **(اجتنب المحارم تكن أعبد ا ناس)** المسألة بسـ طة، المولى تبارك وتعالى أباحلك كل شيء، { خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا } [البقرة:٢٩] خذ ما ت اء ومدع ا تشاء من المأكل المشرب والملبس، هذا غلك، ولكن إياك ثم إياك ثم إياك أ ن تقترب ـن لحـدود الـسيطة، الـتي مثالها شـجرة احـدة في جنـة ع ضـها اسـمو ت والأر ض، { آَمَنُـوا وَاتَّقَـوْا } فإذا تحقـ ت في ا مـة هـ تان الـ فتان: الإيمـا والتقـو تكثـر البركات، ولكن المظالم هـ المانع الذي يمنع الإنسا من دخول الجنة، لو أ ن الإ سان أتى كل الواجـ ات، فإن آخر شيء يسأ عنه بعد أ ن يكون قد سئل عـ حجـ وزاته وصلاته و... هو المـ الم، تبقى نقطة تفـيش لا يستطـ ع أ ن يتـ اوزها وهي نقطة لمظالم.

فنسـأل الله تبـا ك وتعـ لى ن يقينـا إياهـا، وأ ن يجنبنـا إياهـا، ونسـأله سـبحانه أ ن يتولانـا بولايته بسر الفاتحة.

PDF created with pdfFactory Pro trial version www.pdffactory.com